

بسم الله الرحمن الرحيم

النصح والإشفاق في الكلام على تفجيرات الأسواق

سؤال وجواب حول تفجيرات أسواق بيشاور

السؤال :

إلى أهل العلم والدين حفظهم الله ورعاهم وسدد على طريق الحق خطاهم؛ هل يجوز الفرح والسرور بمثل هذه التفجيرات التي وقعت في سوق بيشاور (أواخر شهر أكتوبر من هذا العام 2009م) وإظهار الشماتة بالمتضررين بها من المتسوقين والتجار وعموم الناس ، على أساس أنهم مفرطون في أمر الدين مهتمون بشأن دنياهم وعيشهم فقط وتاركون للجهاد وخاذلون للمجاهدين ومقيمون تحت سلطان الحكومة المرتدة لا يبالون بشيء من ذلك؟ بينوا لنا وجهة الحق في هذه المسألة وفقكم الله وأثابكم جزاكم عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه

وبعد : فإنه لا يجوز الفرح والسرور بمثل هذه التفجيرات (كالمذكورة التي وقعت في سوق بيشاور)، ولا يجوز إظهار الشماتة بالناس المتضررين بها والواقعة فيهم وفي بلدهم وسوقهم، بل يجب الإنكار عليها واعتقاد أنها فسادٌ وباطلٌ وظلمٌ وعدوانٌ وخروج عن الشريعة الإسلامية المطهرة، وأنه لا يفعلها مَنْ يؤمن بالله واليوم الآخر، فضلا عن مجاهدٍ في سبيل الله، بل إن كان تمتّ شيء مشروعٌ نحوها من المشاعر والأحاسيس فهو أن يحزنَ المسلمُ من ذلك ويهتمَّ (يصيبه الهمُّ) ويأسفَ لها، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

شرح هذا الجواب وبالله التوفيق :

أما عدمُ جوازِ الفِرْحِ والسرورِ بها فلأنها فسادٌ وباطلٌ وظلمٌ وعدوانٌ وخروجٌ عن شريعة الإسلام كما قلنا، ومعلومٌ بطريق القطع أنه لا يجوز للمسلم أن يفرح ويُسترَّ بشيء هذا وصفهُ الشرعيّ.

فإن المسلم يحب ما يحبُّه الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ويفرحُ ويسرُّ بذلك، وهو الخيرُ والصلاحُ والبرُّ والعدلُ والإحسانُ والهُدى والحقُّ والمعروفُ، ويكرهُ أصدادَ ذلك من الشرِّ والفسادِ والظلمِ والعدوانِ والضلالِ والباطلِ والمنكرِ، ولا يكون الإنسانُ مؤمناً إلا بذلك، هذا شرطُ الإيمان الشرعيّ، وإلا كان منافقاً كافراً في الباطن، والعياذُ بالله.

والقرآنُ والسنة مملوءان بالدلالات على ذلك نصّاً ومعنىً، ودينُ الإسلام قائم على ذلك، فإن الإسلام هو الاستسلامُ لله عز وجل باطناً وظاهراً، وهو العبودية التامة للبارئ سبحانه وتعالى، التي مبناهها على كمال الحب له عز وجل مع كمال الذلِّ والخضوع، الموجبِ للانقياد لأمره سبحانه، ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم.

فمَنْ فرِحَ بشيءٍ وأحبَّه ورضيَّه، وهو يعلمُ أن الله لا يحبُّه ولا يرضاه، بل يمقُّه ويُبغضُه ويكرهُه ويسخطُه، فقد عصى الله، وناقضَ "مبدأ الاستسلام" له تعالى، وخرج نوعَ خروجٍ عن عبوديته، وهذا الخروج فيه تفصيلٌ؛ فقد يكون معصيةً (غيرَ كفرٍ) وقد يكون كفرًا ونفاقًا، ويحتاجُ هذا إلى بسطٍ لا يسعه هذا الجواب، لكن نشيرُ إلى شيءٍ منه.

وهكذا مَنْ كرهه وسخطَ ما يحبُّه الله ويرضاه ويأمرُ به.

لكن قد يجتمع في الإنسان أنه يكرهُ الشيءَ لأنَّه يعلم أن الله يكرهه، فهو موافقٌ لرَّبه في ذلك مستسلمٌ له من هذا الوجه، ثم هو (الإنسانُ نفسه) يفعلُ ذلك الشيءَ ويلتدُّ به، وهذا درجاةٌ متفاوتة بحسبِ قوَّةِ ثبوتِ كونِ الشيءِ مكروهًا لله عز وجل، فإن كان قطعياً فهو درجةٌ، وإن كان غير قطعياً فبحسبِ غلبة الظن في ثبوته.

وهو في كل ذلك بحسبِ حكمِ الله فيه، إن كان الله عز وجل حكمَ في شريعته بأن هذا الفعلَ (سواءً كان فعلاً قلبياً أو من أفعال الجوارح) كفرٌ، أو حكمَ بأنه معصيةٌ غيرُ كفرٍ، ويُعرَف ذلك من الأدلة الشرعية التفصيلية.

ومثالُ الأولِ المسلمُ الذي يشرب الخمرَ أو يزني، وهو يعلمُ أن شُرْبَ الخمرِ والزنى حرامٌ يُبغضه الله تعالى ويسخطه وينهى عنه ولا يرضاه، وهو يفعل هذا الفعلَ القبيحَ وهو يعرفُ قُبْحَهُ وتكارتَه، ولكنه يريدُه ويلتدُّ به وبجبه محبة غريزية "حيوانية" غيرَ شرعية، وغلبته شهوتهُ فيه، فانفكت المحبة في حقه، فنجا من الكفر، لكنه على خطرٍ عظيمٍ (مرتكبٌ لكبيرة)، وهذا هو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمنٌ، ولا يشربُ الخمرَ حينَ يشربها وهو مؤمنٌ" فنفى عنه حينَ الفعلِ وصفَ الإيمان، لكنه ليس بكافرٍ

بهذا الفعلِ بإجماع أهل السنة خلافاً للخوارج المارقين، بل هو فاسقٌ بذلك ما لم يتب، وهذا من سعة رحمة الله تعالى ولطفه أن لم يحكم الله عز وجل بأن مرتكب هذه الأفعال كافرٌ خارج عن دينه (الإسلام)، ولو شاء عز وجل لفعل، فاللهم لك الحمد والثناء الحسن على سعة رحمتك وعظيم فضلك.

ومثال الثاني مرتكبُ الصغيرة من الصغائر مما هو من باب الشهوات، كمن يشربُ الدخانَ (السيجارة) أو يستمع إلى الألحان المطربة المحرمة (الموسيقى) ويلتذُّ بها، وهو عارفٌ بحرمتها، أو هو مترددٌ في الاقتناع بحرمتها لوجود شبهة في ذلك عنده مثلاً.

وقس على هذا.

ومثال ما حكّم الله بأنه كفرٌ : أن يحبَّ الإنسانُ أعداءَ الله من الكفارِ كاليهود والنصارى والهندوس والبوذيين وما شابههم ممن كفرهُم معلومٌ، أو شأنُهُ أن يكون معلوماً من مثله، يحب دينهم وما هم عليه، ويرضى به، أو يكرهه ويُبغضُ شريعةَ الله على وجه الإجمال، أو شيئاً منها معلوماً كونه من شريعة الله وحكمه، فإن هذا الإنسانَ يكفرُ بذلك.

قال الله تعالى : { وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصَلَّ أَعْمَالَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ } [محمد/8، 9]

وقال : { إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ يَصْرُبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ } [محمد/25-28]

وقد يقع لبعض الناس تأويلٌ في المحابِّ والمباغِضِ (ما يُحبُّ وما يُبغِضُ) ، كمن يظن أن فلاناً المسلم المعين يستحق القتل فيفرح ويُسرُّ بموته لاعتقاده أنه فاسقٌ فاجرٌ مستحق للقتل، وقد يكون كذلك في نفس الأمر (في الحقيقة) وقد لا يكون، فهذا في الشخص المعين، لكن هذا غير متصوّر في عموم المسلمين وجملتهم من مستوري الحال وجماعاتهم بما فيهم ذراريهم (أطفالهم) ونساؤهم وشيوخهم وفضلاؤهم وجميع مستوياتهم، فلا يمكن أن يفرح ويُسرُّ مؤمنٌ بقتلهم وهلاكهم وتدميرهم جملةً!

وقد أخبر الله عن حال المنافقين بأنهم : { إِنَّ تَمَسَّسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤُهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا } [آل عمران/120]

وقال : { إِنَّ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤُهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِن قَبْلُ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ قَرِحُونَ } [التوبة/50]

فهذه صفة المنافقين : يفرحون بما يصيبُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم والمسلمين من الآلام والشدائد، ويستأفون ويغتمون لما ينالُ المسلمين من الخير.

فصلٌ : في أن المشاعر والأحاسيس والوجدانات كثيرٌ منها داخلٌ تحت التكليف، فهي أفعالٌ قلبيةٌ من أفعال المكلفين التي يتعلق بها خطاب الله تعالى بالطلب، إلا ما كان منها جِبِلِّيًّا طَبِيعِيًّا، لا يقدرُ الإنسانُ على التحكم فيه، ولا طاقة له به، كالميل الطبيعيِّ في محبة الأهل والولد ونحوه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث القَسَمِ بين الأزواج "اللهم هذا قَسَمِي فيما أملكُ فلا تلمني فيما لا أملكُ"، وقد قال الله تعالى : { لا يكلفُ الله نفساً إلا وسعها } وقال : { ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به }.

فالفرح والسرور وما قاربها، وأضدادها من الهم والحزن والأسف، والوجد، وغير ذلك - إلا ما استثنى من القَسَمِ الطبيعيِّ-أفعالٌ قلبيةٌ ينبغي أن تخضع لحكم الله تعالى، وهي في جملتها راجعةٌ إلى قاعدة جامعة هي : الحب والبغض.

فعلى المسلم أن تكون مشاعره وأحاسيسه خاضعة للشرع منضبطة به، يحب ما يحب الله ويفرح ويسر به ويأنس ويرتاح إليه، وبكره ما يكرهه الله ويحزن منه ويأسف ويهتم. وهكذا.

لكن في كل ذلك تفاصيل دلت عليها الأدلة الشرعية تُنظّر في مواضعها من كتب أهل العلم، وإنما أشير هنا إلى شيءٍ منها :

فأما الفرح والسرور:

فقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بأن يفرحوا بفضله ورحمته، قال الله تعالى : { قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ قَبْدَلِكْ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ } [يونس/58]، فكل ما هو من فضلِ الله ورحمته وإحسانه ولطفه وهدايته وتوفيقه، من النعم والمن والأفضال الربانية الدينية والأخروية، فهو مما ينبغي أن يفرح به العبدُ، ومعنى الفرح هنا سرورُ القلبِ بها المقتضي لشكرِ الله عليها بأركانِ الشكر؛ القلبيِّ واللساني وبالجوارح.

قال العلماء : أغلبُ ما ورد لفظُ الفرح في لسانِ الشرع وفي لغة الكتاب العزيز في سياقِ الذم، كقوله تعالى : { فَلَمَّا تَسَوَّا مَآ دُكَّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ } [الأنعام/44] وقوله : { إِنَّ نُصِيبَكَ حَسَنَةً تَنْسُوهُمْ وَإِنْ نُصِيبَكَ مُصِيبَةً يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَبَتَّوَلُوا وَهُمْ فَرِحُونَ } [التوبة/50] وقوله : { إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَقَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ } [القصص/76] وقوله : { قَرِحَ الْمُحَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ

اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ {التوبة/81} وقوله : {وَلَيْئِنْ أَدَفْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ تَرَعْنَاهَا مِنْهُ إِنِّي لَبِئْسُ كَفُورٌ وَلَئِنْ أَدَفْنَاكَ نَعْمَاءً بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسِيئَةٍ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} {هود/9-11} وقوله : {اللَّهُ يَسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَقِرْحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ} {الرعد/26} وقوله : {لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} {الحديد/23}.

وهو في عامة هذه الآيات الكريمات ونحوها الفرخ المطغي المؤدي إلى العجب والغرور والكبر، أو الفرخ بما لا ينبغي أن يفرح به المؤمن.

ومن الفرخ المحمود الفرخ بنصر الله عباده المؤمنين على الكافرين، أو نصره الأقل شراً والأقرب إلى المسلمين من الكفار على غيرهم ممن هو أشدُّ بعداً وأكثر شراً، كقوله : {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} {الروم/4، 5}

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " من سرته حسنته، وساءته سيئته فهو المؤمن " رواه الترمذي وغيره.

وأما الحزن والأسى ومثله الأسف، فإنه أكثر ما ورد في القرآن مسلطاً عليه النهي أو النفي وشبهه، وليس في الكتاب والسنة أمرٌ به في حالٍ من الأحوال، وإنما غايته أن يكون مباحاً مأذوناً فيه لطفاً من الله وتخفيفاً وتيسيراً، ومما يكون من النوع الطبيعي الجلي، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ونهى الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن الحزن في مواضع عديدة من القرآن، فقال تعالى :

{وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ} [النحل/127]

{لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} [الحجر/88]

{وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران/139]

وأخبر عز وجل أن الشيطان يريد أن يُحزن الذين آمنوا : كقوله تعالى : {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزِنَ الَّذِينَ آمَنُوا} [المجادلة:10]، وكذا في الرؤيا؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أقسامها : " ورؤيا تحزينٌ من الشيطان " والحديث في صحيح مسلم.

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكثر من الاستعاذة من الهم والحزن، ويرشد إلى أسباب ذهاب الهم وجلائه، والأحاديث في ذلك معروفة مشهورة.

والذي يدل على جواره وإباحته، كحالة بشرية طبيعية سوية، أدلة منها قولُ
وفعلُ النبيّ صلى الله عليه وسلم في قصة وفاة ولده إبراهيم عليه السلام.

في الصحيحين والسنن، واللفظ للبخاري، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال
: دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سيف القين وكان ظئراً
لإبراهيم عليه السلام فأخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم فقبله
وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيمُ يجودُ بنفسه، فجعلتُ عينا رسولِ الله
صلى الله عليه وسلم تذرِفان، فقال له عبدُ الرحمن بنُ عوف رضي الله عنه :
وأنت يا رسولَ الله؟! فقال : يا ابن عوف إنها رحمةٌ، ثم أتبعها بأخرى، فقال
صلى الله عليه وسلم : إن العينَ تدمعُ والقلبَ يحزنُ ولا نقولُ إلا ما يرضى ربُّنا
وإننا بفراقك يا إبراهيمُ لمحزونون.

ومنها ما ذكره الله عز وجل من قصة يعقوبَ عليه السلام وحزنه على يوسفَ
قال تعالى : { قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ
غَافِلُونَ [يوسف/13] } وقال سبحانه : { قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ
جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا
أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَإِيبَصْتَ عَيْتَاهُ مِنَ الْحَزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ
يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَصًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى
اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } [يوسف/83-86].

ومنها ما ذكره الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم وعن بعض أصحابه
رضي الله عنهم أنهم حزنوا، وسكت النصُّ القرآني عنه، كقوله تعالى : { قَدْ
تَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ
يَجْحَدُونَ } [الأنعام/33] وقوله تعالى : { لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى
وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى
الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ
لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيِبُهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَرَّآ أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ
إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ
وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } [التوبة/91-93]

ويُحتملُ إثباتُ قسمٍ مستحبٍ من الحزن، كالحزن والأسف لفوات طاعةٍ،
ويحتملُ أن يؤخذ هذا من الآية السابقة، وكحزن التَّدَمُّ على المعصية وهو توبهٌ،
وهذا موضع يدقُّ التعبير عنه، ولا يبعُدُ استحبابُ إظهارِ قدرٍ من الحزنِ في مثل
هذه الأحوال، وفيما يصيبُ المسلمين من مصائبٍ وشدائدٍ وكروبٍ، فإن هذا
أقربُ إلى هَدْيِ النبيّ صلى الله عليه وسلم وسمِّيته، وأشبهه بكمال النفس
واستقامتها، وأدنى للمواساة، والمواساة من مكارم الأخلاق، والله أعلم.

فائدة : للعلماء توجيهاتٌ لحزن سيدنا يعقوبَ عليه السلام ذكرها القرطبي
فقال : " قال النحاس : فإن سأل قوم عن معنى شدّة حزن يعقوب صلى الله
عليه وسلم وعلى نبينا فللعلماء في هذا ثلاثة أجوبة : منها أن يعقوب صلى الله
عليه وسلم لما علم أن يوسف صلى الله عليه وسلم حيٌّ خاف على دينه ،

فاشتمد حزنه لذلك [أي فحزنته راجع إلى الدين، فهو حزن على الدين ولأجله، أي وذلك محمود، لما يتضمنه من تعطف على الدين وولاء له، ولأنه سبب دافع إلى خير وغيره للدين!] . وقيل : إنما حزن لأنه سلمه إليهم صغيراً، فندم على ذلك. والجواب الثالث وهو أئبئها هو أن الحزن ليس بمحذور [أي كله جملة، والتفصيل بالتفريق بين الطبيعي وغيره أولى]، وإنما المحذور الولولة وشق الثياب، والكلام بما لا ينبغي. وقال النبي صلى الله عليه وسلم : "تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب" وقد بين الله جل وعز ذلك بقوله : {قَهْوٌ كَظِيمٌ} أي مكظوم مملوء من الحزن ممسك عليه لا يبتثه؛ ومنه كظم الغيظ وهو إخفاؤه؛ فالمكظوم المسدود عليه طريق حزنه" اهـ

فائدة أخرى : في توجيه النهي عن الحزن :

المتحصل من كلام العلماء في النهي عن الحزن أنه لوجهين :

الأول : أنه متوجه إلى ما زاد على القسم الطبيعي الجلي منه، وهو ما كان للإنسان طاقة بضبطه والتحكم فيه، وذلك لأنه سبب لمفاسد كثيرة من ترك عمل صالح كترك الدعاء أو الجهاد، أو فعل محرم، كالنياحة واللطم وشق الجيوب وما شابهه مما نهى عنه الشريعة من مظاهر الجرع والتسخط المنافيه للصبر الواجب، فيؤمر المكلف بأن يكف نفسه عن الحزن وأن يجاهدَه، ويستعيد بالله منه.

الثاني : أن النهي عن الحزن نهى عن أسبابه الجالبة له، قال الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله في قوله تعالى {ولا تهنوا ولا تحزنوا} : "والوهن والحزن حالتان للنفس تنشآن عن اعتقاد الخيبة والرزء فيترتب عليهما الاستسلام وترك المقاومة، فالنهي عن الوهن والحزن في الحقيقة نهى عن سببهما وهو الاعتقاد" اهـ

والأسى قريب من الحزن أو بمعناه، نهى الله رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عنه، وعلل بنفيه (أي بنفي الأسى) بعض أفعاله وأحكامه عز وجل.

قال تعالى : {فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [المائدة/68] وقال : {فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} [المائدة/26] وقال : {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [الحديد/22، 23]

فصل : وأما أن مثل هذه التفجيرات في أسواق المسلمين باطلٌ وفسادٌ وظلمٌ وعدوانٌ وخروجٌ عن شريعة الإسلام، فظاهرٌ جداً، ومعلومٌ عند جميع العلماء بل عند جميع المسلمين، فإنها تستهدف المسلمين المعصومين، وتسفك

دماءهم التي حرّمها الله، وقد وقعَ بها قتلُ العشراتِ منهم وجرحُ العشراتِ كذلك، وتدميرُ شيءٍ كبيرٍ من أملاك المسلمين وأضرارٍ وأذىٍ غيرِ خافٍ.

ومعلومٌ من دين الإسلام بالضرورة تحريمُ دم المسلم، ومعروفٌ تشديد الشريعة المطهرة فيه، وتعظيمها لأمره، وأنه من أكبر الكبائر، بعد الإِشراك بالله تعالى.

فإن الله عز وجل نهى عن قتل النفس إلا بالحق بصريح العبارات ومحكمها وبأنواع الدلالات ومتعدّدها، وأبدأ في ذلك وأعاد، في كتابه العزيز، وقرن قتل النفس -بغير الحق- بالإِشراك به تعالى في مواضع في النهي والذم، وبين أنه فعلُ العصاة الجبارين والفجرة المتمردين الممقوتين من رب العالمين، وأخبر أن النفس لا يجوز أن تقتل إلا بالحق وهو الموجب الشرعيّ والحكم الإلهي باستحقاقها للقتل، وأخبر أن من قتل نفساً بغير حق فإنه بمنزلة من قتل الناس جميعاً في جرمه وفجوره وشناعة ما أتى أو في جرأته على الرب عز وجل وفي تمرده وإفساده : { مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا } [المائدة : 32] ، وأخبر أن المؤمن لا يتصوّر منه أن يقتل مؤمناً، لا يكون هذا أبداً، إلا على وجه الخطأ، بياناً لشدة منافاة هذه الشناعة للإيمان : { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً } [النساء/92]، وأخبر أن من قتل مؤمناً متعمداً فإنه مستحق لأشد السخط والعذاب من الملك القهار : { وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا } [النساء/93] نسأل الله السلامة والعافية، والصواب الذي لا شك فيه في معنى الخلود المذكور في الآية أنه ليس هو كخلود الكفار والمشركين في النار، وإنما هو دون ذلك قطعاً للأدلة القاطعة من الكتاب والسنة أن الموحدين لا يخلدون في النار، ولكنه تعبير عن شدة وطول عذابهم في جهنم والعياذ بالله، وفي هذا كفاية للمتّعطين، ومزدجّر للمتهورين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وفي السنة المطهرة في ذلك شيء يصعب حصره، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "اجتنبوا السبع الموبقات، قيل يا رسول الله وما هن؟ قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات".

وفيهما من حديث بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : "أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء" وذلك تعبيرٌ عن عظم شأنها عند الله.

وفي البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لن يزال المؤمن في فسحةٍ من دينه ما لم يُصب دمًا حرامًا"، وقال عبد الله بن عمر : "إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفكُ الدم الحرام بغير حله". فاللهم إنا نسألك العافية والمعافاة الدائمة يا رب العالمين.

وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "لزوال الدنيا أهونُ على الله من قتل مؤمنٍ بغير حق".

وفيهما كذلك : "كلُّ ذنبٍ عسى الله أن يغفره، إلا الرجل يقتل المؤمنَ متعمداً، أو الرجل يموت كافراً".

ويكفي الإنسانَ المسلمَ أن يراجع كتاب الترغيب والترهيب للمنذري في باب "الترهيب من قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق" ليطلع على ما تُرعبُ منه القلوب وتتشعرُ منه الجلود في ذلك.

وللمجاهدين خصوصاً في قصتي أسامة بن زيد والمقداد بن عمرو رضي الله عنها عبرةٌ ودرسٌ لمن أرادَ الله واليوم الآخرَ وكان مجاهداً حقاً في سبيل الله، من الذين قال الله فيهم : { تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا قَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } [القصص/83] وقال : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ } [المائدة/54]

وأنا أذكرُ القصتين هنا للتذكير، وليراجِعهُما القارئُ في كتب الشروح ليعرفَ ما فيهما من الفقه وما استنبط العلماءُ منهما من العلم.

* قصة أسامة بن زيد :

روى البخاري ومسلمٌ عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحُرَقَةِ من جُهينة فصَبَحنا القومَ فهزمناهم، ولحققتُ أنا ورجلٌ من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناها قال لا إله إلا الله، فكف عنه الأنصاريُّ، وطعنته برمحي حتى قتلته، قال فلما قدمنا بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ قال قلت يا رسول الله إنما كان متعوذاً، قال فقال أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ قال فما زال يكررها علي حتى تمنيتُ أنني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم.

* قصة المقداد بن عمرو :

روى البخاري ومسلم عن المقداد بن عمرو الكندي وكان شهد بدرًا مع النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يا رسول الله أرأيت إن لقيتُ كافراً فاقتلنا فضرب يدي بالسيف فقطعها، ثم لادّ مني بشجرةٍ وقال أسلمتُ لله أقتله بعد أن قالها؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقتله، قال يا رسول الله فإنه طرح إحدى يدي ثم قال ذلك بعد ما قطعها، أقتله؟ قال لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلك قبل أن تقتله وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال. انتهى الحديث.

وقال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا صَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَعَانِمٌ

كثيرةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}[النساء/94]، وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما : {ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً}، قال ابن عباس كان رجل في عُتَيْمَةٍ له فلحقه المسلمون فقال السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا عُتَيْمَتَهُ، فأنزل الله في ذلك إلى قوله : {تبتغون عرض الحياة الدنيا} : تلك الغنيمة.

وكذلك تحريم أموال المسلمين وأموالهم وعصمئها، هو شيءٌ معلومٌ عند المسلمين كافة، وقد جمع ذلك كله قولُ النبي صلى الله عليه وسلم : "كُلُّ المسلم على المسلم حرامٌ دَمُهُ وماله وعرضه". رواه مسلمٌ وغيره.

وتحريم إذايتهم والإضرار بهم، كذلك.

بل وتحريم ترويعهم وهو تخويفهم وإدخال الرِّوْعِ عليهم وهو الفَرَعُ، بغيرِ حقٍّ، أي بغيرِ إذنٍ من الشريعة المطهرة.

كل ذلك معروفٌ مشهورٌ تحريمه وما ورد في منعه والنهي عنه والتحذير والترهيب منه في الشريعة، ولا نطيل بذكر الأدلة التفصيلية على ذلك لشهرتها وظهورها، والحمد لله.

فصلٌ : وليُعلمَ أن الناسَ في هذه المسائل -كما هو الشأن في سائر المسائل غالباً- طرفانٍ ووسطٌ :

فطرفٌ استخفَّ بهذه الحرمة الكبيرة وبهذه النصوص المتضمنة لأعظم الوعيد والتهديد، فأراقوا دماء المسلمين، واستهانوا بها، ولم يعرفوا لها حرمةً ولا خافوا الله فيها ولم يرجوا لله وقاراً، وهؤلاء منهم الطواغيت أئمة الكفر الفراعنة لعنهم الله، ومنهم الزنادقة، ومنهم الفجَّار الجابرة، ومنهم الفسقة المنحلُّون من أهل الدنيا وأهل اللصوصية وقطاع الطرق وأهل جاهلية العشائر والقبائل في بعض البلاد، ونحوهم، وبلحَق بهم مارقو الخوارج كما حدث في بعض البلاد.

وهؤلاء هالكون والعياذ بالله، إلا مَنْ تداركه الله برحمته.

وطرفٌ آخرٌ صدَّتهُ هذه النصوصُ وحمَلَهُ تعظيمُ هذا الوعيد والتهديد على تركِ القتال والقتل حيث أذن الله فيه بل وأوجبه، فصدَّته عن الجهادِ الواجب، جهادِ المرتدين وجيوشهم والطوائف الممتنعة عن شرائع الإسلام الظاهرة، بحجة الخوف من إراقة الدماء واحترام أملاك وأموال المسلمين وتحريم إذايتهم وترويعهم!

وهؤلاء منهم قومٌ من مخشي العزائم، ممن يرون القتلَ والموتَ في الحروبِ سُبَّةً، لم يعرفوا النزال ولا الطعان، ولا مصاولة الفرسان، رقت أجسادهم ونعمت جلودهم من رغد العيش وترِفِ المقامِ ولذيذِ الراحة والهناءة في أوطانهم ومشاريعهم الرخوة المبنية على ثقافة معايشة الكفار و"الولاء

الطبيعيّ" -زعموا- وتعظيم حب الأوطان واختيار الحياة الدنيا وحبّ السلامة والسلام والأمن والأمان والاستقرار ولو على حساب ذهاب الدين وانتقاض عُراه، فما أشبههم بمن قال الله فيهم : {أَوْمَنْ يُنَشَأُ فِي الْجِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ} [الزخرف/18] ، وهؤلاء الذين كتبَ بعضُ غلاةِ الزائغين منهم في أحد أشهر مواقعهم على شبكة المعلومات أن الأمن مقدّم على التوحيد وأهمّ منه، مستدلاً -قاتله الله- بقول الله تعالى حكاية عن خليله إبراهيم : {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَتَيْبَتِي أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} [إبراهيم/35] فزعم الكاذبُ على الله أن تقديم إبراهيم سؤالَ الله عز وجل أن يجعل هذا البلد آمناً على سؤاله أن يجنبه وبنية عبادة الأصنام دالٌّ على ذلك!

فهؤلاء وأمثالهم من الذين قال فيهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : "إذا رأيتم الذين يتَّبِعُونَ ما تَشَابَهَ مِنْهُ فأولئك الذين سَمَّى اللهُ قَاحِذَرُوهُمْ" رواه البخاري ومسلم عن عائشة في تفسير قول الله تعالى : {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ} [آل عمران/7]

ومنهم أقوامٌ أهل أهواء مختلفة غير ذلك.

فنعوذ بالله من سوء حالهم جميعاً.

وهدى الله أهلَ الجهاد في سبيل الله على علمٍ وبصيرةٍ وفقهٍ، لما اختلفَ فيه الناسُ من الحق بإذنه سبحانه، فحققوا الحق، وأعطوا كل مقام حقه، فحققوا الولاء والبراء، وأقاموا الدين كله وأحاطوا به من كل جوانبه حسب استطاعتهم باذلين وسعهم مستعنيين بمولاهم، وقاموا بواجبِ الوقت وهو التصدي لفتنة الردة الكبرى الطاغية المعاصرة، كما جاهدوا أعداء الله الكفار الأصليين الغزاة الصائلين من الصليبيين واليهود والهندوس وغيرهم، واجتهدوا في حفظ دماء وأموال المسلمين وتعظيمها واحترامها والتحرز من إصابتها جُهدهم، مع الاستمرار في الجهاد الواجب، فالله مولاهم، وعليه -سبحانه- أجرهم ونصرهم.

فصل : فهذا يُعَلِّمُ أن مثل هذه التفجيرات ليست من عمل المجاهدين، وأنه لا يفعلها إلا مَنْ لا يؤمن بالله واليوم الآخر، ولا يفعلها بالأصالة إلا المجرمون أعداء الله تعالى، وهذا الذي نعتقد؛ أنها من فعلِ الأعداء الكفار مباشرةً، إما بواسطة مؤسساتهم الأمنية الإجرامية مثل بلاك ووتر وما شابهها، وقد كثرت في باكستان في هذه المدة، وعرفَ الناس أخبارها وتناقلوها، وانتشرت قصصها، نسأل الله أن يرد كيدهم في نحورهم، أو عبرَ عملائهم الاستخباريين الآخرين، أو بواسطة مجموعاتٍ قذرةٍ تابعة للاستخبارات الباكستانية الآي إس آي، أو تابعة لبعض جنرالات الجيش الخبثاء المجرمين.

وهذا شيءٌ غيرٌ مستغربٍ في الحروب، ومتوقَّعٌ، وقد فعله الأعداءُ كثيراً في أفغانستان والعراق والجزائر وغيرها، ومن يطلُبُ عليه دليلاً يقينياً فيوشك ألا

يجده، لأن الأعداء يتقنون فن إخفاء الأثر، وهي عمليات استخباراتية متخصصة، لكن علاماته وأماراته واضحة للعارفين بشؤون الحرب ومن يعيشونها.

ولذلك، فإن على المسلمين أن يتنبهوا لهذا، وعلى المجاهدين أن يوضحوا هذا الأمر، ويحذروا الناس ويوعوهم، وعلينا أن نعرف أن هذا من الفتنة التي يتبلى الله عز وجل بها عباده ويمتحنهم ويختبرهم، ليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب، ومن الذي ينصر دينه، ويقف مع الحق وأهله، ولا ينصد بسبب مثل هذه الفتنة عن الجهاد الحق في سبيل الله وإعلاء كلمته وتحكيم شريعته، ولا عن الكون مع المجاهدين ونصرتهم بما يستطيع، ولا يكون في صف أعداء الله، والعياد بالله.

{إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنِ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْعَافِرِينَ} [الأعراف/155]

فالمؤمن القوي الواعي الفاهم لدينه المجاهد بحسب وسعه، يحقق الحق، ويعطي كل شيء حقه، يعرف المعروف وبجه وينصره، ويبغض المنكر وينكره بحسب قدرته.

فهذا هو الواضح عندنا جداً أن هذه التفجيرات من تدبير وفعل أعداء الله الكفرة، يريدون بذلك نسبتها إلى المجاهدين لتغيير المسلمين منهم، والتفريق بين المجاهدين والشعب المسلم الذي يناصرهم ويحتضنهم، وتشويه صورة المجاهدين في باكستان وفي العالم، وتخويف أمة الإسلام من الجهاد، وإنهاك عزائمهم بالمآسي وتئيسهم من نتيجة هذا الجهاد..!

هذه مقاصدهم لا تخفى على عاقلٍ.

وكما قال الشيخ مصطفى أبو اليزيد حفظه الله ووفقه : ((فليعلم جميع المسلمين أنه من المستحيل أن يقوم المجاهدون بمثل هذا العمل الدنيء ، وهم الذين خرجوا للجهاد في سبيل الله للدفاع عن دين وأرض وعرض ودماء المسلمين التي يسفكها الصليبيون والمرتدون وبستيحونها... إننا نعتقد أن مثل هذه التفجيرات هي من فعل أعداء الله الصليبيين وأوليائهم في الحكومة والاستخبارات ، وهي جزء من الحرب القذرة التي يمارسونها، كيف لا وهم الذين لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ، ولا يراعون حُرْمَةً ، ولا تساوي دماء المسلمين عندهم شيئاً.

والجميع يعرف اليوم ماذا تفعل بلاك ووتر والمجموعات الإجرامية التي استباحت باكستان بتأييد من هذه الحكومة الفاسدة المجرمة وأجهزتها الأمنية ، فهم يرتكبون هذه الأفعال البشعة ثم يتهمون بها المجاهدين عبر أبوابهم الإعلامية لتشويه صورة المسلمين.

وإن مما يبين لكم أن هذه التفجيرات هي من فعلهم ، هذه المؤشرات الواضحة :

أ) أن هذه السياسة تكررت في العراق وأفغانستان وهاهم الأمريكان الأنذال ينقلونها إلى باكستان، وقد صرّحوا مراراً أنهم ينقلون تجاربهم كما رأيتم.

ب) أن هذه التفجيرات الإجرامية تتزامن مع زيارات لمسؤولين أمريكيين لباكستان ، وذلك حتى يصرحوا في مؤتمراتهم الصحفية أن المسؤول عن هذه الأعمال هم الإرهابيون الذين نقوم بقصف مخابئهم في منطقة القبائل كما يقولون ، ويدّعون أن هدف أمريكا هو مساعدة الحكومة والشعب الباكستاني للقضاء عليهم.

ج) أنه قد تمّ بالفعل -وقد نقلت الصحافة ذلك- ضبط أسلحةٍ و متفجرات مع عناصر بلاك ووتر

ومع دبلوماسيين غربيين في باكستان ، وأن هذا الأمر تم بالمصادفة ، وأقفل هذا الملف بسرعة ، والحقيقة أن ما خفي كان أعظم ، وأن لديهم -أخزاهم الله- خططاً لاغتيال وقتل المناصرين والمتعاطفين مع المجاهدين من العلماء والدعاة وشرفاء أهل العلم والرأي والكتاب والصحفيين وغيرهم.

د) أن هذه التفجيرات تتم بسيارات مفخخة يتم ركنها في الأسواق ، وهذه طرق اشتهرت بها المخابرات في العالم أجمع، وكما قد فعلوها في العراق وغيرها.

إلى قوله حفظه الله : إخواني المسلمين ، إن الذي يقف وراء مثل هذه الجرائم هو نفسه الذي يقصف قرى ومساكن ومساجد المسلمين في مناطق القبائل وفي أفغانستان بالقنابل التي تزن الأطنان)). اهـ من كلمة للشيخ مصطفى نشرتها مؤسسة السحاب الإعلامية.

وأزيدُ : أن الذي يقف وراء مثل هذه الجرائم هو وأولياؤه الذين هدموا المسجد الأحمر على الطلبة والطالبات الأطهار المصلين التاليين لكتاب الله، وهو الذي قصف المدنيين القرويين الضعفاء وأباد قراهم في سوات وفي وزيرستان، وهو الذي قتل حوالي مائتين من الفقراء الأبرياء تجمّعوا حول صهرج وقودٍ في قندوز، وقتل المئات في هيرات وغزني وغيرها.

والحاصلُ أن المجاهدين في الجماعات الجهادية المعروفة الموثوقة لا يفعلون مثل ذلك وحاشاهم، ونسأل الله أن يعصمهم ويحفظهم ويسددهم، وأن يعيذنا وإياهم من مضلات الفتن.

وإننا والمجاهدين جميعاً نعتقد أنه -لا قدر الله- لو قامت جماعةٌ بمثل هذه الأعمال الإجرامية، تعمّداً وقصدًا، فإنها لا تسمى بعدها جماعةً مجاهدةً، بل ستكون جماعةً منحرفةً ضالةً زائغة، نسأل الله العفو العافية والسلامة، ونعوذ بالله من موجبات غضبه وسخطه.

ولهذا فإنه إن كان ثمت احتمالٌ أن يكون من قام بهذه التفجيرات قومٌ ممن ينتسبون إلى الإسلام وإلى الشريعة وإلى الجهاد، فإننا نشهدُ أنه إن فعل ذلك فاعلٌ متعمّداً قاصداً فهو منحرفٌ ضالٌّ زائغٌ مارقٌ، وأنه ليس مجاهداً بل هو

مفسدٌ مجرم، يجب الأخذُ على يديه ومعاقبته بالعقوبة الشرعية، وإلا عمَّ الجميعُ غضبُ الله ونقمتهُ وعقابه، وهذا احتمالٌ ضعيفٌ في الواقع، والحمد لله، وحاشى المجاهدين من ذلك، وإنما أشرتُ إليه لتقرير الحكم والموقف الشرعيّ، ونسألُ الله أن يعصمنا وجميع المجاهدين من مضلات الفتن، وأن يقي ساحات الجهاد جميعَ تلك الضلالات.. آمين.

تنبيه : فإن قيل : هل يُحتمَلُ أن يكون التفجير حصل بفعل بعض المجاهدين على وجه الخطأ؟

فأقول : احتمال وقوع مثل هذه الحوادث بفعل مجاهدين من أهل الاستقامة والجهاد الحق والالتزام بالشرعية، لكن على وجه الخطأ المحض، هو احتمالٌ نادرٌ جداً، مستبعدٌ، وقد يحدثُ شيءٌ من هذا في الحروب وفي كل عملٍ بشري، لكنه قليل الوقوع جداً، كأن تكون السيارة المفخخة المحملة بالمتفجرات كانت منطلقاً إلى الهدف فحصل أن انفجرت في خطأ بشريّ عارض وأمرٍ غير مقصود، فهذا قد يقع مثله في الحروب، وهو من المصائب والابتلاءات كسائر المحن والكوارث والجوائح التي تصيب الناس، إما بأن تجري على أيدي البشر وبمباشرتهم أو بدون ذلك بل بمحض القدر (الجوائح السماوية)، وكلها بتقدير الله عز وجل، وله سبحانه في كل قضائه الحكمة التامة والحجة البالغة.

ونحن بمعرفتنا بالمجاهدين ننفي هذا عنهم لمعرفتنا بديانتهم واحتياطهم والحمد لله، وأما البعيدُ الذي لم يعرف المجاهدين فعليه بالإنصافِ وحُسن الظن بالمجاهدين في سبيل الله وأهل الشريعة والدعاة إلى الله، وعليه أن يعرف أنهم مرمى سهام العدو الكافر الظالم الكاذب المفترى ووسائل إعلامه المجرمة، وعليه أن يتأمل الأوجه المتقدمة وغيرها، ويتدبّر في الربط بين هذه الحوادث وتكررها وبين ما هو معروفٌ مسطورٌ من سياسات العدو واستراتيجياته الهادفة إلى فصل المجاهدين عن قاعدتهم الشعبية الحاصنة، كما يصرّحون به باستمرار، وحسبنا الله ونعم الوكيل، فكيف يُعقلُ أن يقوم المجاهدون بمثل هذه الأعمال التي تنقّر الناسَ وتصدهم عن دعوة الإسلام وعن الجهاد وتبعّضهم في أهله، ومع مَنْ؟ مع شعبهم وقبائلهم وأهلهم الذين هم محصنّهم وبيئتهم، فهل يصدّر هذا من عاقلٍ أصلاً؟! نعوذُ بالله من الخذلان، والله الموفق للصواب، ومَن يستعن بالله يُعنه {ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراطٍ مستقيم}.

فصل : وقد تبرأ المجاهدون من هذا التفجير ومن أمثاله مراراً وتكراراً، وأصدروا البيانات في النهي عما هو أقل من ذلك، مما يُحتمَلُ أن له وجهاً أحياناً، وهو النهي عن رمي الكفار والمرتدين وقيادات جيشهم وأمنهم في الأماكن العامة، كالأسواق والشوارع العامة، وفي المساجد، ونحوها، لأن ذلك يؤدي إلى قتل بعض المسلمين، ونحن وإن أخذنا بتجويز مسألة التترس في بعض صورها

تبعاً لعلمائنا، والمسألة مقررة بأدلتها في مواطنها، فإن ذلك له ضوابطه وشرائطه البيئية، والحمد لله رب العالمين.

والمجاهدون بحمد الله منضبطون بالشرع، لا يقاتلون ولا يقتلون إلا من جوّز الشرع قتاله وقتله، يسيرون على وفق الفقه والأدلة الشرعية، ويفرّقون بين الدم المباح والدم الحرام، بحزمٍ وعلى بصيرة، ويستعملون الورع والاحتياط، وقد بينّ المجاهدون من طالبان باكستان واتحاد شورى المجاهدين والقاعدة وغيرهم في مراتٍ عديدةٍ أنهم إنما يستهدفون في باكستان قوات الأمن وجيش الدولة المرتدة، واستخباراتها وشرطتها وكل قواتها العسكرية وشبهها القائمة على حمايتها وحراستها والتي بها -بشكل مباشر- تقومُ الدولة، كما يستهدفون من رجالِ الدولة السياسيين الكفرة المحاربين لله ودينه وشريعته، ويتنبّتون في كل ذلك ويحتاطون، ويتركون ما اشتبه أمرُهُ، فإن المجاهدين يدركون ما أثبتت به أمةُ الإسلام من اختلاط الحابل بالنابل واختلاط مجتمعاتها صالحهم بطالحهم، وما في الناس من الشبهات والترددات، وما يستدعيه ذلك من شديد الاحتياط والتحرّز، واستعمال العذر والرأفة والتسّمح، والشفقة على الناس ورحمتهم، ويفهمون أن الخطأ في العفو خيرٌ من الخطأ في العقوبة، فضلاً عن إدراكهم أن هؤلاء الناس هم قومُهم وأهاليهم وحاضنهم، فسبحان الله!

فنسأل الله أن يوفقهم ويسدد خطاهم، وأن يمدّهم بمددٍ من عنده، وأن ينصرهم على القوم الكافرين.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : { اذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ } [الحج/39-41]

وقال عز وجل : { وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْقَاسِيُونَ } [النور/55]

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبيه محمدٍ وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

كتبه : أبو عبد الرحمن عطية الله

ذو القعدة 1430 هـ / نوفمبر 2009 م